"أبناء جزيرة جربة في الحركة الوطنية 1881-1961"

لمؤلفه حمّادي اللّواتي،

صادر عن الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 2006 .

عرض عميرة عليّة الصغير.

المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية.

يتنزل هذا الكتاب المعنون "**أبناء جزيرة جربة في الحركة الوطنية 1881-1961**" للمعلّم والمناضل الدستوري الجربي حمّادي اللّواتي ضمن جنس من الكتابة في التاريخ يتصدّى لها مناضلون أو دونهم من غير الاختصاص من الأكاديميّين. وإن كان من المسلّم به إنّ بحوث المؤرّخين الجامعيين تأتي في المرتبة الأولى من حيث الاعتبار عند تناول هذا المجال المعرفي لما تفترضه من ضوابط علميّة ومهنيّة وشروط الحياد والموضوعيّة فاننّا من الذين يقرّون بأنّ "كتابة التاريخ" لا يمكن أن تكون حصرا على البحث الجامعي ولا "وقفا" على الجامعيّين لعدّة اعتبارات أوّلها وجوب الاقرار بحريّة الناس في التعبير والكتابة وبحقهم في امتلاك ماضيهم وفي اعادة قراءته كما يحبّون وثانيها الاعتراف بالمردوديّة المعرفيّة لهذا الصنف من الكتابة في التاريخ بالنسبة للعامّة من الناس وخاصة لأهل المهنة من المؤرخين لأنّ المؤرّخ يجد في هذه الكتابات ليس فقط تمثّل الكاتب أو من هو وراءه في تشكيل نصّه لأحداث الماضي وفهمها بل وخاصة كثيرا ما تتضمن كتابات غير المختصين وبالذات إن كانوا فاعلين في تاريخ الأحداث كمناضلين أو مقاومين وملتزمين بالحد

الأدنى من النّزاهة والصّدق عندما يكتبون [1] معطيات تاريخية تفيد أو تكمل ما يعتمده المؤرخ من مادة تاريخيّة استقاها من مصادر أخرى (خاصة الأرشيفية بأنواعها) والتي ليست دائما بالضرورة وافية ووفيّة أو محايدة.

فهذا الكتاب حول "**أبناء جزيرة جربة في الحركة الوطنية**" في طبعته الثانية الصادرة سنة 2006 (الأولى كانت سنة 2005) هو في 586 صفحة من الحجم المتوسط. وقسّمه صاحبه إلى جزءين: تناول في الجزء الأوّل (الصفحات 26–196) "الكفاح بمختلف أشكاله الفكرية والماديّة والميدانيّة على المستويين القيادي والشعبي "كما عنوانه هو ذاته، وخصّص الجزء الثاني (الصّفحات 197–493) لتراجم" الذين تيّسر له احصاؤهم" وقد أردف كتابه بملاحق وثائقية (الصّفحات 498–571) تتفاوت من حيث القيمة. والكتاب محلّى بصور فوتوغرافية خاصة للأعلام المذكورين وإن كانت بعض الوثائق المصوّرة ليست جيّدة الإخراج ولا الطّبع.

والمؤلّف دون أن يدّعي كتابة التاريخ يقرّ من البدء أنّ لهذا الميدان أهله ويعلن منذ توطئته لكتابه إنّه كان مدفوعا في تأليفه بـ "رغبة وعزيمة لاصدار كتاب يعتزم ابراز الدور الفاعل لأبناء جربة في الحركة الوطنية من البداية إلى النهاية داخل اطار الجهاد الكبير المتواصل الذي بذله الشعب التونسي بكلّ جهاته وبكل فئاته للانعتاق من نير الاستعمار ونيل استقلاله. هذا الدوّر الذي أراد بعضهم طمسه وتجريد أصحابه من شرف اضطلاعهم به بتناسيهم وتجاهل تضحايتهم من أجل تحرير تونسنا العزيزة من براثن الاستعمار ولكم اشتد أسفي والتاعت حسرتي على بقاء تاريخ جزيرة الوطني الثّري الحافل بالتضحيات والبطولات نسيّا منسيّا في اللّحد مقبورا مع أبطاله الأمجاد وما تسلّط عليهم من حيف وقهر طيلة فترة ما قبل التحوّل. ممّا جعلني، ولست وحدي، أتألم وأشعر بالمرارة والغبن بينما كان من حقنا جميعا أن نباهي بهم ونفتخر بأعمالهم ونكتب لأسمائهم البقاء. هذه الحلقة من تاريخ جربة الوطني أهملت وكادت أن

---

1) نشير من باب الذكر لا الحصر لمؤلّفين صدرا أخيرا في هذا الصّنف من الكتابة في التاريخ وهما :
- علي المعاوي، **ذكريات وخواطر**، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، منوبة، 2007.
- الطيب شواري، **ما عملت ورأيت وسمعت، ذكرياتي عن دور القلعة الكبرى في تحرير الوطن**، تونس، مطبعة قرطاج، 2008.

تدخل طي النسيان، لذلك عقدت العزم على تأريخها لتخليد الدور الريادي الذي لعبه أبناؤها في معركة التحرير" (23-24).

هل نجح سي حمّادي اللّواتي في رهانه هذا ؟ منذ البدء يمكن أن نقر له بنجاح كبير في جهده هذا ونعترف له بفضله البحثي ونثمن مثابرته وتجشمه الأتعاب البحثية التي لا يعرف ثقلها إلاّ من جرّبها. اذا هذا الكتاب يعتبر فعلا اضافة معرفيّة كبيرة لتاريخ الكفاح الوطني لأهل جربة في جزيرتهم أو في شتات الوطن أو خارجه كما سنفصّل في جوانب من ذلك لاحقا. غير أنّه ككل الأعمال وخاصة من غير المختصّين والذين تحدوهم العواطف أحيانا يسقطون في المبالغات دون سوء نيّة أو يخطئون في تفسير الوقائع دون قصد ضرر أو يغلطون في استرداد الوقائع وتواريخها أو يخلطون فيها ولو قدّر لهذا الكتاب أن كان رُوجِع بتأنّ من مؤرّخ في الاختصاص لكان في صورة أحسن. لذا سنقف على بعض الأخطاء التاريخية الواردة في النص- وليس كلّها - هذا في عنصر أوّل وفي عنصر ثان سنبسط ما أضاف الكتاب للمعرفة التاريخيّة.

* **أخطاء كان يمكن تفاديها :**

نوردها تباعا كما وردت مسترسلة في نصّ الكتاب

- **ص 28** : الكاتب يُورد وثيقة بعنوان " تقرير الكومندان القلاديتار" في 12 أوت 1881 وهو غلط ولو تثبت في مصدره الذي أخذ عنه هذا النص (وهو مؤلفنا مع عدنان المنصر: المقاومة المسلحة في تونس، الجزء الأوّل ص 77.) لكان عنوانه "الوضع في جربة وما جاورها 12 أوت 1881" من تقرير لكمندان القلادياتار، اضافة لذلك المؤلف لا يذكر مصدره ولا من ترجم الوثيقة وهو نقص علمي وأخلاقي.

- **ص 29** : يقول الكاتب : "لم يجد الاحتلال الفرنسي عن دخوله من الجزائر عن طريق الكاف يوم 24 أفريل 1881 مقاومة تذكر" وهذا غلط وهو هنا يظلم قبائل وعروش الشمال الغربي التي تُنوسي دورها في التصدّي للجيش الغازي من عروش خمير والشيحية وأولاد بوسالم... ومعارك كبرى كمعركتي بن بشير ووادي الزرقاء.

– **ص 30** : يقول المؤلّف إنّ المقاومة تواصلت بالجنوب حتى زحف المرابط عمر بن عثمان يومي 26 و27 أفريل 1906" وهنا أيضا يغلط المؤلف لأنّ المقاومة توقفت تقريبا سنة 1883 وإنّ تمرّد فراشيش تالة سنة 1906 هو مقاومة من صنف آخر.

– **ص 31** : يتحدّث المؤلّف عن محاكمة الثعالبي الأولى وقعت سنة 1906 بينما كان ذلك سنة 1904 بتهمة التعدّي على الدّين والمس من حرمة الأولياء الصّالحين وكان قد قاضته محكمة الدريبة ولم ينقذه إلاّ تدخّل المقيم العام آنذاك.

– **ص 51** : يقول المؤلف "ثم حُلّ الحزب الحر الدستوري الجديد في 4 أفريل 1938" بينما كان حلّه في 12 أفريل 1938.

– **ص 60** : يذكر الكاتب إنّ القوات البريطانية والأمريكية نزلت يوم 9 نوفمبر 1940 بشمال افريقيا والصّحيح في 8 نوفمبر 1942.

– **ص 65** : في عنوان لصورة المنصف باي نقرأ : "محمد المنصف باي. 19 جوان 1942–14 أفريل 1943" والأصحّ 14 ماي 1943 تاريخ عزله.

– **ص 68–69** : ما كتبه المؤلف عن "وطنيّة لمين باي" قابل للدّحض وليس فقط للنقاش والمجال لا يتّسع هنا لذلك فهو إن كان فعلا ساند مطالب الوطنيّين سنوات 1950 – 1952 فانّه تراجع عن موقفه ذاك منذ اغتيال حشاد بالخصُوص وساير الرّكب من بعيد في منطق المراهنة على القادم ولم يصمد صمود محمد بن يوسف ملك المغرب (محمّد الخامس) الذي كلّفه اقدامه عزله عن العرش ليعود له منتصرا ولم يكن حال الأمين باي الذي فقد شرعيته سلفا.

– **ص 69** : يقول "اقرار الحكم الجمهوري يوم 8 أفريل 1956 "بينما تمّ اعلان الجمهورية في 25 جويلية 1957 كما معروف.

– **ص 69** : يتحدث عن الباي المخلوع يقول أنّه لم يغادر الاقامة الجبريّة بقصر قديم وهذا غلط اذ كان تحوّل للسكن بشقة بحيّ لافيات وتوفيّ فيها في (30 سبتمبر 1962) واستعاد حقه في المواطنة (المشاركة في الانتخابات مثلا).

– **ص 120** : هناك خلط كبير في الأحداث وفي أسبقيتها أو تأخرها الكرونولوجي على بعضها لا يتسع المجال لتصحيحها هنا.

- **ص 121** : معركة برقو وقعت في 13 سبتمبر 1954 وليس في نوفمبر 1954 كما ورد.

- **ص 125** : يقول المؤلّف أن صالح بن يوسف عاد إلى تونس في 13 أوت 1955 بينما كانت عودته في 13 سبتمبر 1955.

- **ص 136** : خطاب صالح بن يوسف في جامع الزيتونة كان في 7 أكتوبر 1955 وليس في 8 أكتوبر كما أورده الكاتب كذلك في الصفحة ذاتها خطاب منداس فرانس بقصر قرطاج كان في 31 جويلية 1954 وليس في 3 جويلية كما ذُكر.

- **ص 140** : مؤتمر صفاقس انعقد ما بين 15 و19 نوفمبر 1955 لا في 15 أكتوبر 1955 كما أورده الكتاب.

- **ص 248** : صورة المناضلين المهاجرين بطرابلس ورد عنوانها في تسمية الأشخاص الواقفين مقلوبا والأصح أنّ تتم القراءة من اليسار إلى اليمين لا العكس.

- **ص 270** : ينسب المؤلّف اغتيال مديـــر الادارة المركزيـــة للجيش الفرنســـي المقدّم دولابيون (1954/7/2) إلى المختار بن عطيّة ونحن اذ لا ننفي الدور الرئيسي لهذا المقاوم في "الارهاب الوطني" نشكّ في أن قتل هذا الضابط الفرنسي كان من تخطيطه بل من مجموعة الشيخ حسن العيّادي ومنفّذها الجزائري اليعقوبي الذي اغتالته السّلط الاستعمارية لاحقا دون تتبّع للمختار عطيّة.

هذه بعض الأخطاء التي التقطناها عند قراءة هذا الكتاب والتي في تقديرنا لا تنقص الكثير من قيمته ولا افادته ولعلّ طبعة أخرى تتفادى هذه الهفوات.

*** ما أضافه الكتاب :**

إن كان القسم الأوّل من هذا المؤلَّف ضعيفا – في تقديرنا – وكان من المستحسن الاقتصار فيه وحتى الاستغناء عنه فان الجزء الثاني منه على غاية من الأهميّة اذ تصدى المؤلّف للتعرّيف بـــ 189 مناضلا ومقاوما جربيّا معتمدا على مصادر مكتوبة وأخرى شفويّة تجشّم تعب جمعها والتنقل في البلاد عرضا وطولا لتوفيرها.

فعلاوة على استعادة ذكرى هؤلاء الفاعلين في الكفاح الوطني واحقاقهم حقّهم في التاريخ وهو في حدّ ذاته نجاح أدبي ومعرفي واصلاح لغبن وربّما لظلم لف بعضهم فانّ القارئ وحتّى من المختص في التاريخ سيكتشف جوانب كثيرة عن كفاح الجربيّين وتضحياتهم في سبيل تحرير وطنهم وفي مستويات عدّة يمكن ايجازها في النقاط التالية :

- الكتاب يعطينا صورة متكاملة لمساهمة أهل جربة في الحركة الوطنية إن كان في التنظم في الحزب الحر الدستوري قبل 1934 أو بعده وفي مساهمتهم في مختلف أوجه الكفاح المسلّح لاحقا كرافعين للسّلاح وخاصة كمموّلين له ومزوّدين أو مهرّبين للملاحقين من المناضلين بين تونس وطرابلس.

- دور المناضلين الوطنيّين من أهل جربة في شتات الوطن اذ يكتشف القارئ أن رؤوسا كثيرة للحركة الوطنية من الشمال الشرقي الى الشمال الغربي وفي الوسط - علاوة على العاصمة - كانوا من أصول جربيّة أمّا كتجار مستقرين بتلك المجالات أو كذوات أخرى خاصة بالحاضرة.

- الانخراط الواسع لأهل جربة في الحركة الوطنية كمناضلين أو مموّلين للحزب الحر الدستوري الجديد والمؤلّف يورد معطيات دقيقة لمساهمة هؤلاء في تمويل الحزب أو قياداته وخاصة الحبيب بورقيبة نفسه.

- التواجد الكبير للمناضلين الجربّيين في الاتحادات المهنية والنّقابية وخاصة اتحاد الصّناعة والتّجارة ومساهمة هذه المنظمة في الكفاح الوطني ودعمه بالمال والمناضلين .

- مكانة مناضلي جربة في العمل الوطني الثقافي والجمعياتي والخيري اذ نجد عناصر كثيرة منهم في المنظمات الشبابيّة (الكشافة - الشبيبة المدرسية) والفرق المسرحيّة أو هيئات الاغاثة لضحايا المساغب الكثيرة في تاريخ تونس. اضافة لروّاد الصّحافة والمسرح ولعلّ اشهرهم سليمان الجادوي والبشير الفورتي.

- انفتاح أهل جربة على قضايا الشعوب العربيّة المكافحة ودعم نضالها وحتى المشاركة فيه مباشرة ان كان بالنسبة لطرابلس أو خاصة الجزائر (انظر مثلا مسار المناضل الكبيرعمر حميدة) أو دعم القضيّة الفلسطينية خاصة سنتي 1947-1948 والمساهمة في لجنة اغاثة فلسطين.

- دور الجربيّين المستقرين كتجار بالخارج وخاصة في فرنسا وتركيا والجزائر وفي مصر في دعم حركات المقاومة ومدّها بالمال "عصب الحرب" تذكر في مصر كل من عائلات بن قايد وبن تعاريت والبرجي وبوستة وبن والمهاجرين من المناضلين منهم بورقيبة ذاته أو في طرابلس الحاج عيّاد ربانة مانح ضيعة لتدريب المقاومين بأحواز هذه المدينة.

- أضواء جديدة على **لجنة المقاومة** بجربة ومنشطيها كحمود الزّريعة وحسن قرّوز ومحمود بن حسين وعبد السلام بن حدادة وحبيب الرايس ومساهمتهم في الكفاح المسلّح بجربة أو في علاقاتهم مع مقاومي جبال مطماطة وتطاوين أو شبكة التهريب والعبور للسّلاح والمقاومين بين تونس وطرابلس.

- شهادة تاريخيّة دقيقة على ردود فعل الجاليات الأروبيّة المستقرّة بالجزيرة تجاه العمل الوطني خاصة في الخمسينات من القرن الماضي اذ تراوحت من العداء (الفرنسيين والايطاليين والمالطيّين) إلى الحياد بالنسبة لليونانيين أو الميل للقضية الوطنيّة بالنسبة لليهود التّونسيّين المستقرين بجزيرة جربة.

- مساهمة المرأة الجربيّة مباشرة في العمل الوطني ولو بصورة محتشمة - شأنها شأن نساء تونس في كامل البلاد - كحضور الاجتماعات السياسية او استقبال الزعماء وخاصة التورط في أعمال كفاحية مباشرة ويذكر المؤلّف بعضهنّ مثل منى الحمروني (190–1981) وتالعز بن الحاج دحمان وشاذليّة بن عمّار (شهرت شاذليّة الزعيمة) وتالعز بن يونس (أخت المناضل عمر حميدة)

- تسليط أضواء جديدة على عديد المناضلين الوطنيّين الجربيين الذي غُبط حقّهم أو أُفتري عليهم في العهد البورقيبي مثل صالح بن يوسف وعلي الزلطيني والمختار بن عطية والبشير رزق وعمر حميدة... وابراز أسماء آخرين كانوا مغمورين أو مجهولين تماما مثل البشير الفورتي وسليمان الجادوي ومحمود بن رمضان زرّيعة والحاج عيّاد ربّانة والطاهر قرّوز وبوعيش بوحريز...

خاصة ممن تشيّعوا لصفّ الأمانة العامّة سنوات 1955–1958 وشكّك في وطنيتهم [2].

في **المحصّلة** يمكن أن نعتبر كتاب حمّادي اللّواتي "**أبناء جزيرة جربة في الحركة الوطنيّة**" اضافة جدّية للمكتبة التاريخيّة التّونسية وخاصّة لرصيد التاريخ المحلي رغم المبالغات أحيانا و"النرجسيّة الجربيّة" التي تنفلت من قلم الكاتب وتنسب ذاك الفعل أو أسبقيته لجربيّ معيّن دون حجج بالغة وهي لعمري من ملازمات هذا النوع من الكتابات التي تأتي على نيّة معلنة للتصحيح أو ردّ الاعتبار أو الانصاف لمن أهملُو أو ظلموا. فالكتاب يبقى مرجعا لمعرفة مكافحي الجزيرة إن كانوا من البسطاء أو القادة وإن كانوا من البورقيبيّين أو من اليوسفيّين في جربة أو في البلاد كاملة.

---

2) لمزيد التفاصيل في اليوسفيّين المتجنى عليهم راجع مؤلّفنا : **اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي**، تونس، المغاربيّة للطباعة والاشهار، 2007.